ܡܗܘ ܥܬܝܕ ܠܫܘܢܐ ܣܘܪܝܝܐ ܒܥܝܪܩ ܠܐܝܟܐ ؟
مستقبل اللغة السريانية في العراق الى أين ؟

ألقي البحث في المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الارامية و السريانية في كلية الاداب / جامعة القاهرة / 18-20 آذار 2019

المقدمة :-

مفهوم اللغة

تُعتبر اللّغة مجموعةً مرتّبة من الرموز والإشارات التي تُكوّن إحدى وسائل المعرفة في النهاية، وتعدّ اللغّات إحدى أهمّ أدوات التّواصل والاحتكاك والتفاهم في مختلف مجالات الحياة بين الأشخاص في العالم، ولا يُمكن التواصل دون استخدامها. تتعلّق لغات العالم بتفكير الأفراد تعلّقاً وثيقاً؛ حيث يُمكن صياغة الأفكار الداخليّة والباطنيّة عن طريق المفردات اللغويّة. تعريفات اللّغة فُسّرت اللّغة قديماً بأنّها عبارة عن مجموعةٍ من الأصوات التي يستخدمها الفرد للتّعبير عن احتياجاته ورغباته، واتّصف هذا التعريف بالموضوعيّة. يختلف تعريف وظيفة اللّغة عن حقيقتها وعلاقتها بالإنسان، فاللّغة هي الإنسان والوطن الأوّل، ومُحصّلة التفكير الخاص بالإنسان، وإحدى الخصائص التي يتميّز بها الإنسان عن الحيوان، وناتج العقل. عُرّفت اللّغة من قِبل علماء النّفس بأنّها منظومةٌ من الإشارات المُستخدمة للتّعبير عن أفكار الإنسان بشكل عام، والحالات الإرداية، والعاطفيّة، كما تعدّ إحدى الوسائل المُستخدمة لتحليل الصور، والأفكار الذهنيّة إلى أجزاء، وتأليف كلمات وترتيبها للحصول على جملة معيّنة. هُناك عدّة أقسام للّغات، وترتّب ضمن عائلات لغويّة كاللّغات الهنديّة، والأوروبيّة، والإفريقيّة، والآسيويّة، ولكل مَجموعة العديد من اللّغات المُحتوية على خصائص وأصول مُتشابهة. أشهر اللغات في العالم يوجد في العالم ما يُقارب 6 آلاف لغة مُستخدمة في البلدان المختلفة، كما توجد ما نسبته 30% من هذه اللّغات لا يزيد عدد مستخدميها عن 1000 شخص، وتتنوّع اللغّات مع تطوّر الزمان والوقت، وإنّ أهم اللّغات المُستخدمة في العالم نسبةً لعدّة معايير؛ كالأهميّة، والتأثير في المعاملات التجاريّة، والمكانة العالميّة، هي: اللّغة الإنجليزيّة، والعربيّة، والإيطاليّة، والفرنسيّة، واليابانيّة، والصينيّة، والكوريّة، والكانتونيّة، والتايلنديّة، والبنجابيّة، والهنديّة، والجاويّة، والبولنديّة، والتركيّة، والفيتناميّة، والفارسيّة.

نبذة عن اللغة السريانية

كما هو معروف ومثبت علميا بلا شك ان اللغة السريانية هي لغة سامية و لغة بلاد مابين النهرين الاصيلة وعميقة الجذور في تاريخها يعود ظهورها الى الف سنة قبل الميلاد (1) سادت في فترة من فترات الشرق كله قرابة ألف عام اذ كانت لغة المراسلات الدولية والعلوم كما اللغة الانجليزية اليوم، لذا بقيت حية يتحث بها اهلها حتى اليوم. لغتنا السريانية الجميلة عبر تاريخها الطويل الذي يمتد إلى أكثر من ستة آلاف عام، لم تنافسها على شهرتها وسعة انتشارها ومكانتها العالية سوى اللغة الإنكليزية في عصرنا الحالي، فعلى مدى أكثر من الف عام كانت هذه اللغة متداولة شعبياً ورسمياً في الدواوين والمراسلات الإقليمية والدولية لجميع الامبراطوريات التي حكمت المنطقة الواقعة ما بين حدود سيناء واليونان غرباً ولغاية التخوم الهندية شرقاً.

بدأ التحدث باللغة السريانية منذ القرن السابع قبل الميلاد، ودونت فيها قصة احيقار الحكيم وزير ومستشار ملك سنحاريب في نينوى قرن 7 قبل الميلاد.. كذلك رسالة مارا بن سيرابيون الى ابنه ثابت بن قره الحراني وغيرهما.

منذ اعتناق الديانية المسيحية، اتخذت الكنيسة اللغة السريانية لغة التعليم والطقوس، ونشأ الادب الروحي والديني الى جانب العلوم الاخرى منها (ترانيم ، أشعار ، مؤلفات تاريخية ، فلسفية ، حكم وامثال ، ترجمة ، فلك ، رياضيات ، تاريخ ، طب) ونذكر أدناه على سبيل المثال نماذج معينة برزت و برعت في هذه المجالات:

الشعر: الشعراء (برديصان ، مارأفرام السرياني، بالاي ، برصوما ، يعقوب السروجي ، مار نرساي ، ماريعقوب الرهاوي ، انطون التكريتي، كوركيس وردة الاربيللي ، خاميس قرداحي)

التاريخ : المؤرخون نذكر منهم (يوحنا الافسسي، يوحنا برفنكايي، يعقوب الرهاوي، توما المرجي ، ايليا بر شيناي، ابن العبري).
الفلسفة : منهم الفلاسفة (يحى بن عدي ، متى بن يونس، اسحق بن زرعة)
الطب: نذكر منهم اطباء عائلة (آل بختيشوع بشكل خاص)
الترجمة : المترجمون (يحى ابن بطريق ، يوحنا بن ماسويه، حنين بن اسحاق وابنه اسحق ، عيسى ابن زرعة)
الموسيقى والحان : نذكر منهم (برديصان ، مارأفرام ، شمعون الفخاري)
المدارس: من المدارس الشهيرة (مدرسة قطيسفون- المدائن - قرب بغداد في قرن الثاني ، وهي في مقدمة المدارس الشهيرة فيها نشأ ططيانوس الاشوري (مؤلف كتاب دياطسرون) في القرن الثاني الميلادي. نصيبين نشأت في القرن الرابع ازدهرت في قرن الخامس ، الرها نشأت في قرن الثاني و ازدهرت في القرن الرابع ، جنديسابور في قرن الخامس و اشتهرت بالطب ، كذلك مدارس (اربل ، بلد اسكي موصل ، الرستاق في مركا مروج الموصل) مار باباي الجبلي بنى في مملكة حدياب اكثر من 60 مدرسة ووضع لها قوانين وأنظمة في القرن الثامن.

تاريخ اللغة السريانية في العراق :

اللغة السريانية في العراق لغة حية (2) وفق معايير يونسكو (لها متحدثيين اصليين Native speakers دون الحاجة لدخول المدرسة ، وهي لغة الام ، ويعبرون بها عن أغراضهم في كافة المجالات و تحافظ على هويتهم، والمتدحثون بها في العراق من الاطفال اكثر من معيار يونسكوالمحدد بنسبة 30 % ، وفي العالم المتحدثون بها اكثر من عدة ملايين ، ويتم تدريسها بالمدارس الرسمية و الجامعات العراقية في العراق، ايضا يتم تدريسها بشكل محدود في سوريا وايران وفي تركيا في مدارس اهلية معظمها تابعة للكنائس، وتدرس ايضا في عدد من بلدان المهجر في استراليا و السويد. يجدر الاشارة بانه يتم تدريس اللغة السريانية في اكثر من مائة جامعة في العالم ضمن قسم الدراسات الشرقية. حسب لوائح الامم المتحدة يعتبر 12 شباط اليوم العالمي للغة الأم ، و تقام عدة فعاليات ثقافية بهذه المناسبة في العراق و في سوريا وفي ايران وفي عدد من بلدان المهجر خاصة التي يتواجد فيها الالاف من المتحدثين باللغة السريانية.

واقع اللغة السريانية و منذ حرب العالمية الاولى،

واجهت اللغة السريانية عبر التاريخ وحتى يومنا هذا العديد من التحديات الخطيرة التي كادت تهدد بقاءها واستمراريتها في العراق، الا انه في خضم هذه التحديات الكبيرة ، تبرز أيضا مقومات حقيقية و قوية تضمن الى حد ما بقاء واستمرارية وأمكانية تطوير هذه اللغة لتواكب العصر بعلومه و آدابه وانجازاته التقنية، أدناه توضيحا عن هذه لتحديات و المقومات.

- **التحديات:**

1 - الانتهاكات و الابادات التي تعرض لها شعبنا منها مذابح (سيفو 1915، سميل ، 1933، صوريا 1969، كنيسة سيدة النجاة 2010، سهل نينوى 2014). هذه الاحداث الجسام كانت لها نتائج كارثية على وجوده وهويته الثقافية و الحضارية بشكل عام و على حيوية و استمرارية وبقاء لغته السريانية بشكل خاص.

2- التهميش المستمر بشتى الاشكال لهذا المكون العراقي الاصيل ولغته السريانية وتاريخه و حضارته قديما و حديثا منذ تاسيس الدولة العراقية (1921) والى يومنا هذا.

- اغلاق المدارس الاهلية عام 1968 عملا بمبدأ تاميم التعليم، و وهذه المدارس كانت بإدارة الكنيسة ، التي كانت تدرس فيها اللغة السريانية ، الى جانب العلوم الاخرى.

3- الهجرة والتهجير القسري: أستمرار نزيف الهجرة والتهجير القسري نتيجة لهذه المظالم و الانتهاكات الخطيرة المستمرة التي تعرض لها ومازال يتعرض لها مسيحيي العراق السريان، مما جعل عدد الناطقين بهذه اللغة في

تناقص مستمر سنة بعد أخرى. قبل عام 2003 كان في العراق قرابة مليون و نصف مليون مسيحي سرياني في العراق و اليوم لا يتجاوز عددهم بأحسن الاحوال 500 الف نسمة. (3)

4- تذبذب في استقرارية الملاك التعليمي في المدارس السريانية، لهجرة العديد من معلمي اللغة السريانية وشحة الكادر التعليمي الاكاديمي ، لحداثة قسم اللغة السريانية في جامعات العراقية خاصة في اقليم كردستان/ العراق ، علما يشهد الاقليم مسيرة التعليم السرياني بشكل فعلي منذ عام 1993.

5- ضعف اقبال الطلبة في المرحلة الابتدائية للدراسة في المدارس السريانية، لاسباب عدة منها ، ضعف الوعي باهمية وتاريخ هذه اللغة بسبب اهمال و تهميش لهذه اللغة لقرون ، ضعف الدعم المادي للمدارس السريانية، والتردد من امكانية ضمان سوق عمل للدارسين بهذه اللغة ، فتح المدارس الاهلية بشكل واسع.

5- الضعف في تطبيق القواني التي تخص اللغة و الثقافة السريانية ومن اهمها قانوني اللغات الرسمية الصادرة في بغداد واربيل في اقليم كردستان/العراق.

- **المقومات،**

اهم حقيقة قائمة اليوم بخصوص اللغة السريانية في العراق، هي وجود شعب حي ينطق ويتحدث ويقرأ و يكتب وينتج ادبا وفنا وثقافة بهذه اللغة عبر التاريخ منذ نشوء حضارات مزدهرة فيه تدون و تؤرخ ارثها الحضاري ومنذ الاف السنين بهذه اللغة في بلاد مابين النهرين / العراق و الى يومنا هذا دون انقطاع.

1 - قوة اللغة نفسها، كونها لغة ستاندر (قياسية) في ابجديتها لها حروفها و نحوها ، و بلاغتها و فصاحتها وتعبيراتها، و استعابها لكل العلوم والفنون والاداب والترجمة ، ثرية بلهجاتها و بمفرداتها ومرادفاتها ، مرنة في اشتقاقاتها. لها معاجمها الرصينة.

2 - هذه اللغة لم تمت او تنقرض يوما ما ، بل ضعفت وتقلصت وانحصرت رقعتها الجغرافية بشكل كبير، ولكنها بقيت حية على لسان أهلها الناطقين بها في مجتمعهم ومدارسهم و كنائسهم.

3- وجود وحدات ادارية بكاملها منها (اقضية ، نواحي ، بلدات ، قرى) يعيش عليها هذا الشعب ألاصيل عبر التاريخ بشكل تجمعات عمرانية و سكانية متجانسة، لغتهم الرئسية اليومية هي السريانية و لهجاتها.

4- وجود شعب حي أصيل يعيش على شكل مجتمعات و مجموعات بشرية متجانسة يشتركون في اللغة والتاريخ والتراث منذ زمن موغل في القدم، الا انهم متفاعلون بشكل ايجابي جدا مع المجتمع العام في وطنهم ولهم مساهمات مشرقة في كل المجالات.

5 – وجود مدارس وطنية رسمية حكومية سريانية في كل المراحل (ابتدائية ، متوسطة، اعدادية ، جامعية)، اضافات الى التعليم الكنسي للغة السريانية.

6- وجود اقسام اللغة السريانية في جامعة بغداد و جامعة صلاح الدين / في محافظة اربيل مؤخرا.

7- وجود مؤسسات متنوعة تخص اللغة والثقافة والفنون السريانية منها رسمية (مديريات و مديريات عامة وأقسام جامعية) وأخرى غيرحكومية مدنية مهنية وعامة مثل (أتحاد الادباء "مهني" ، جمعيات و مراكز ثقافية ، فرق مسرحية ، دار للنشر والطباعة)

8- مدارس المؤسسة الدينية (الاديرة ، الكنائس ، المعاهده الاكليركية)

9- الاهتمام العالمي بهذه اللغة وتراثها ومخطوطاتها وتدريس اللغة السريانية ضمن اللغات السامية والدراسات الشرقية في جامعات العالم.

10- تحسن نسبي في سوق أو فرص عمل مناسبة الى حد ما ، لخريجي المدارس السريانية خاصة خريجي قسم اللغة السريانية، كذلك الذين يجيدون اللغة السريانية، ممكن جدا ان يتم تعينهم رسميا في مدارس ذات التعليم السرياني للحاجة الماسة الى الكادر الاكاديمي، وفي دائرة الاثار وفي بعض الفضائيات والقنوات الاعلامية منها الفضائية السريانية ضمن شبكة الاعلام العراقي وغيرها من المحطات الاعلامية وتلفزيونية و فضائية أهلية محلية أو في المهجر.

11 – الالاف من الجالية السريانية العراقية مازالت تنطق بهذه اللغة في دول الشتات خاصة في السويد و استراليا و امريكا و اوروبا ولهم عدد من المدارس الاهلية والكنسية لتعليم وتدريس اللغة السريانية اضافة الى الادب والتاريخ.

12- **القوانين والتشريعات:**

- منذ تاسيس الدولة العراقية عام 1921 ، تحديدا منذ سبعينيات القرن الماضي والى يومنا هذا صدرت عدة قرارات وقوانين لصالح اللغة والثقافة السريانية الا ان تطبيقها في كثير الاحيان تميز بالتلكأ و البطأ والاهمال ، ولكن بشكل عام كان لها الاثر الايجابي على تعليم اللغة السريانية و الثقافة السريانية خاصة فترة التسعينيات القرن الماضي في اقليم كردستان-العراق و بعد التغيير عام 2003).

- قديما أبان الدولة العثمانية صدر المرسوم الاصلاحي (خط همايون) عام 1856 وتضمن مبادىء اصلاحية ومنها في مجال فتح المدراس الاهلية والتدريس باللغة السريانية في المدراس الخاصة بالمسيحيين خاصة في ولايتي موصل و بغداد.

- لاول مرة في تاريخ الدولة العراقية الحديثة صدر عن (مجلس قيادة الثورة) المنحل حاليا، قرار 251 بتاريخ 1972/4/16 منح الحقوق الثقافية للمواطنين الناطقين باللغة السريانية من الآثوريين والكلدان والسريان، وفقا ما يلي:

- تكون اللغة السريانية لغة التعليم في كافة المدارس الإبتدائية، التي غالبية تلاميذها من الناطقين بهذه اللغة، ويُعتبر تعليم اللغة العربية إلزامياً في هذه المدارس.
- تُدَرس اللغة السريانية في المدارس المتوسطة والثانوية، التي غالبية تلاميذها من الناطقين بهذه اللغة، وتُعتبر اللغة العربية لغة التعليم في هذه المدارس.وبموجب هذا القانون تم شمول بالتعليم السرياني 22 مدرسة في بغداد، 47 مدرسة ، في الموصل 18 مدرسة ، في دهوك 9 مدرسة، في أربيل 4 مدرسة ، في دهوك 4 مدرسة الا انه في عام 1974 تحولت المدارس الاهلية المتميزة خاصة المسيحية السريانية الى حكومية ومن تم الغائها.

- صدور قانون 16 عن وزارة التربية في اقليم كردستان/العراق في 1992/9/20 حيث جاء في المادة رابعاً (جعل لغات الاقليات لغة التعليم في المرحلة الابتدائية لابنائها في المناطق التي تقطنها والتي تزيد نسبتها عن 25%) مع بداية العام الدراسي 1992 -1993 باشرت المدراس المشمولة بالدراسة السريانية ، وبتاريخ 1998/12/1، صدر قرار من مجلس وزراء اقليم كردستان/العراق بمواصلة الدراسة السريانية للمرحلة الثانوية.

- صدور قانون اللغات الرسمية في العراق رقم 7 لسنة 2014 (4)

قانون اللغات الرسمية في أقليم كوردستان/ العراق رقم 6 لسنة 2014 (5)

قانون حماية المكونات في اقليم كوردستان رقم 5 لسنة 2015 (6)

- **أهم المقترحات لتطوير اللغة السريانية:**

1- تفعيل هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي والتي مازلت مجمدة بسبب تعليق عمل المجمع العراقي.
2- تاسيس أكاديمية اللغة السريانية في اقليم كردستان- العراق .. والذي يقابل هيئة اللغة السريانية في بغداد.

3- تأسيس مركز للدراسات والبحوث والترجمة ، يخص ثقافة و تراث واللغة السُريانية.
4- تفعيل التشريعات التي تخص اللغة والثقافة السريانية بشكل أفضل مما هو عليه اليوم .
5- تأسيس مديرية عامة للثقافة السريانية ضمن تشكيلات وزارة الثقافة والشباب العراقية و نقترح ان تكون مدينة بغديدا/ قضاء حمدانية مقرا لها.
6 – دعم المنظمات الدولية المختصة و خاصة يونسكو بهذه اللغة ضمن مشروعها حماية اللغات المهددة
7 – انشاء مطبعة حكومية خاصة للمنشورات والنتاجات السريانية .
8- ايجاد فرص عمل لخريجي اقسام اللغة السريانية.

- **الاستنتاج**

نستنتج مما تم بحثه اعلاه ان اللغة السريانية اليوم في العراق هي لغة حية كما اوضحنا اعلاه و تحمل المقومات الذاتية والموضوعية لبقائها و استمراريتها و تطويرها، بما ينسجم و روح العصر ومنجزاته كونها كانت ومازالت لغة العلم و الادب والفلسفة واللاهوت، وهي لغة حية بكافة المقاييس العلمية وبموجب معايير منظمة يونسكو، الا ان هذا لا يعني انها لا تواجه اليوم صعوبات و تحديات خطيرة ، التي يجب معالجتها و الحد منها خاصة ظاهرة الهجرة و التهجير القسري للناطقين بها في العراق ، والتهميش المنهجي لهذه اللغة و اهلها وعدم تفعيل التشريعات التي تصون هذه اللغة الوطنية العريقة.

المصادر والهوامش:

(1) : كتب و وثائق و تراث / الأقليات العراقية / د. سعدي المالح من انتاج منظمة جسر الى (upp) 2014

(2) تقارير منظمة يونسكو و تصنيفاتها بخصوص اللغات الحية و الميتة و المحتضرة و المهددة بالانقراض ، اذ توجد في الوقت الراهن ثلاثة آلاف (3000) لغة-من بين لغات العالم- مهدَّدَة بالانقراض في حدود عام 2050م. ثُمَّ إنّ 2400 لغة أخرى، تسير نحو الانقراض..وللخبراء معاييرُ معيَّنة لمعرفة بعض مؤشرات الضعف والانحسار التي توحي باقتراب انقراض اللغة. من ذلك-على سبيل المثال- أنّ اللغة التي لا يتعلَّم بها ثلث أطفال قوم، معرضة للانقراض...اللغة التي لا يتكلمها الأطفال-ويتكلمها آباؤهم،-معرضة للانقراض...اللغة التي لا يتكلمها إلّا الأجداد (لا يتكلمها الأطفال ولا يتكلمها آباؤهم)، فهذه معرضة للاندثار بدرجة أكبر. إنّ اللغة تقوى بقوّة أهلها وتضعف بضعفهم، ثم إنها كائن حيّ تعتريه أحوال القوة والضعف والصحة والمرض والموت...وهي كذلك كالعضو الحيّ يقوى وينمو بالاستعمال ويضعف بل يموت إن هو ظل معطَّلًا عن العمل، و مجلة إثنولوج Ethnogue التي تنشر في هو موقع معلوماتي تابع لمنظمة إس-أي-إل إنترنيشنل ويهتم بإحصاء أعداد متحدثي كل اللغات الإنسانية الحية وإعطاء نبذة موجزة عن كل منها وعن لهجاتها المختلفة المحكية منها والمكتوبة كذلك، يحتوي الموقع على معلومات عن أكثر من 6000 آلاف لغة ولهجة مختلفة. وفقاً للعدد الأخير من مجلة إثنولوج يصل عدد اللغات المحكية في العالم إلى 7202 لغة، وتشير الدراسات الأكاديمية المتخصصة بعلم اللغات إلى أن عشرات اللغات تحتضر وتتلاشى نهائياً في كل عام، ومن المتوقع أن تنقرض نصف لغات العالم بنهاية القرن الواحد والعشرين،

(3) جدول يوضح التوزيع الجغرافي للمسيحيين في العراق عام 1957 / في رسالة ماجستير نسبة المسيحيين السريان عام 1957 في العراق 2 % الباحث ايفان جاني.

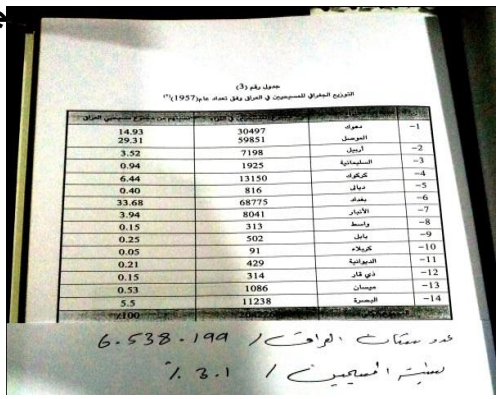
جدول رقم (3)
التوزيع الجغرافي للمسيحيين في العراق وفق تعداد عام(1957)[1]

-1	معمورة	30497	14.93
-2	الموصل	59851	29.31
-3	اربيل	7198	3.52
-4	السليمانية	1925	0.94
-5	كركوك	13150	6.44
-6	ديالى	816	0.40
-7	بغداد	68775	33.68
-8	الانبار	8041	3.94
-9	واسط	313	0.15
-10	بابل	502	0.25
-11	كربلاء	91	0.05
-12	الديوانية	429	0.21
-13	ذي قار	314	0.15
-14	ميسان	1086	0.53
	البصرة	11238	5.5
			%100

عدد سكان العراق / 6.538.199
نسبة المسيحيين / 3.1 ٪

(4)
المادة 1 (ثانياً) اللغة الرسمية المحلية: هي اللغة التي تتقيد إستعمالاتها الرسمية بالوحدات الإدارية التي يشكل المتحدثون بها كثافة سكانية.

المادة -8- يجوز فتح مدارس لجميع المراحل للتدريس باللغة العربية أو الكردية أو التركمانية أو السريانية أو الأرمنية او المندائية في المؤسسات التعليمية الحكومية أو بأي لغة أخرى في المؤسسات التعليمية الخاصة وفقاً للضوابط التربوية

(5)

المادة3

تعد لغة المكونات الأخرى (التركمان والسريان والأرمن) في وحداتهم الإدارية وعند الحاجة، لغة رسمية في كوردستان العراق إلى جانب اللغة الكوردية.

ثامنا- 1 :تلتزم الحكومة بالمحافظة على لغة الام ، من خلال سبل ضمان التعليم والتثقيف بها وإدارة قنوات إعلامية خاصة بهم .2- تضمن الحكومة فتح أقسام خاصة باللغات القومية للمكونات في جامعات كوردستان، وتأسيس االكاديميات العلمية اللغوية الخاصة بهم حسب حاجتهم.